الخبز أُرزي

حياتُه وما تبقى من شعره

د. بشير العتري
كلية الآداب – جامعة الفاتح

مقدمة

ضاع ديوان الخبز أرزي ككثير من دواوين الشعر العربي القديم، ولم يصل إلينا من شعره هذا الشاعر سوى نصوص قليلة لا تكون ديواناً، ولكنها تمثل بداية لجمع ما يمكن جمعه من شعره المفترق في مصادر مختلفة.

وقد حاولتُ أن أنهض بهذا العبء ما وستعتني المحاولة، جمعتُ فيها ما تيسر من شعره المفقود من خلال دراسة التي قسمتها إلى قسمين: تناولت في القسم الأول حياة الخبز أرزي وشعره، مستهلاً هذا القسم بتحقيق أسم الشاعر، ونسبه، ومكان ميلاده، ووفاته، وحياته، وعلاقاته، ومصادر شعره، وأغراضه الشعرية، وملامح فنه الشعري.

أما القسم الثاني فقد خصصته لما تبقى من شعره الذي قمتُ بجمعه، حيث رتبت الأشعار وفق القافية، وذكرتُ اختلافات الرواية، والبحر الذي نُظمت فيه. وجمع النصوص المفقودة، أو صناعة ديوان لشاعر ضاع ديوانه ليس بالأمر الهين، لأن جامع النصوص التي فُقدت مخطوطاتُها، ومخرجها ومحققها تجابهه مشاكل كثيرة وعسيرة "لعل أهمها أنه لا يعتمد في إخراجها على مخطوطة كاملة، ولا على جملة مخطوطات وإنما يجمعها من المصادر التي لا تحصى كثرة، والتي يصعب عليه أن يحيط بها علماً، وأكبر من تلك المشكلة، وأخطر أن ما يجمعها منها لا يكون مقطوعات وافية، ولا قصائد كاملة لا نقص فيها، ولا اختلاف في ترتيبها، وإنما يكون أبياتاً متفرقة مختارة وفق أهواء أصحاب التراجم، والمختارات، وأذواقهم، وأغراضهم"[1].

[1]. ينظر: شعر الحسين مُطير الأسدي، جمعه وشرحه، وقدم له، د. حسين عطوان، دار الجيل، بيروت، ص 7-8.

أولاً: الخبز أرزي
حياته وشعره

تحقيق أسم الشاعر ونسبه:-

أجمعت المصادر[1] إلى أطلعت عليها على أن اسم الشاعر هو (نصر بن أحمد) ما عدا مرآة الجنان[2] وعبرة اليقظان، لأبي محمد بين أسعد اليافعي اليمني المكي، الذي أود أن اسم الشاعر هو: (مضر بن أحمد) ومضر – بلا شك – تحريف ظاهر، صحته ما جاء في المصادر الأخرى.

كما اتفقت المصادر على أن اسم شهرة الشاعر، هو (الخبز أرزي)، وهو الحرفة التي كان يتكسب بها، ويعيش منها. ويكني أبا القاسم كما ذكرت بعض المصادر[3]. وينسب الشاعر إلى البصرة. وبذلك يكون أسمه: أبو القاسم نصر بن أحمد بن مأمون البصري، الخبز أرزي.

وقد أشتهر الشاعر بالحرفة التي كان يمارسها، وغلبت على أسمه الحقيقي، وهي صناعة الخبز من الأرز، وهو اسم شهرة طريف، تجئ طرافته من كون أن الخبز يُصنع –غالباً– من القمح، أو الشعير وليس من الأرز.

---

[1] مثل: اليتيمة، وتاريخ بغداد، والمنتظم، ووفيات الأعيان، والنجوم الزاهرة، وشذرات الذهب.
[2] . أبو محمد عبد الله اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، مؤسسة العالمي، بيروت، ط:2 1970م، ص 27.
[3] . مثل تاريخ بغداد، ووفيات الأعيان، والأعلام للزركلي (مرجع)

الميلاد، والوفاة (المكان والتاريخ):-

لم تذكر المصادر التي اعتمدت عليها – صراحة – مكان ولادة الشاعر، وأن ذكرت نسبته إلى البصرة وإذا كان النسبة إلى بلد ما، هي في الغالب، دليل على أنها المكان الذي ولد فيه المنتسب إلى ذلك البلد، فإن البصرة هي مكان ميلاد الخبز أرزي.

ووجدت في المصادر ثلاث إشارات تعزز ما ذهبت إليه من أن مكان ميلاد الشاعر، هو البصرة. وهذه الإشارات الثلاث هي:-

1. ورد في يتيمة الدهر "وأحداث البصرة يتنافسون في ميله (أي الشاعر)، وذكره لهم[1]" أي أنه كان مقيماً في البصرة.
2. جاء في تاريخ بغداد أن الشاعر "نزل بغداد، وأقام بها دهراً طويلاً[2]" وهذا يعني أنه جاء من البصرة وحل ببغداد.
3. وقال صاحب وفيات الأعيان "كان نصر المذكور قد وصل إلى بغداد[3]" وهذا معناه أن الشاعر وصل من البصرة إلى بغداد.

ولم تذكر المصادر المعتمدة مطلقاً تاريخ ميلاد الشاعر. أما تاريخ وفاته، فقد اختلفت المصادر في تحديد سنة بعينها، إذ نقلت ثلاثة من هذه المصادر عن بعضها لاحقاً عن سابق، وهي وفيات الأعيان لابن خلكان ومرآة الجنان لليافعي، وشذرات الذهب للحنبلي، التي اتفقت على تاريخ واحد وهو سبع عشر وثلاثمائة للهجرة. ولم يقل الزركلي كيف توصل إلى ذلك؟ أو من أي استقى ذلك التاريخ؟

---

[1] . الثعالبي، يتيمة الدهر، تحق: محمد محي الدين عبد الحميد، لاط، لات، ج:2 / 366.
[2] . البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت، لاط، لات، ج:246/13.
[3] .ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحق، د. إحسان عباس، دار صاد، بيروت، لاط، 1977، ج376/5.

ويظهر أن تاريخ وفاة الشاعر، الذي جاء في وفيات الأعيان، ومرآة الجنان، وشذرات الذهب، وهو سبع عشرة، وثلاثمائة للهجرة، ليس دقيقاً، لأن خبراً ورد في تاريخ بغداد، يؤكد أن الشاعر عاش بعد هذا التاريخ ثماني سنوات، وذلك في أثناء حديث مؤلف تاريخ بغداد عن رواه مقطعات شعر الخبز أرزي، ومن هؤلاء النوشري الذي يقول عنه " وذكر النوشري أنه سمع منه (من الشاعر) ببغداد، باب خرسان في سنة خمس وعشرين وثلاثمائة للهجرة." وذلك يعني أن الشاعر كان حياً حتى التاريخ المذكور، وهو ما يرجح أن وفاته كانت بعد ذلك التاريخ بسنوات قليلة. أي أنه يمكن حصر وفاة الشاعر في الفترة من (327هـ) كما جاء في الأعلام إلى (330هـ) كما جاء في النجوم الزاهرة.

حياة الخبز أرزي، وعلاقاته:

كان الخبز أرزي شاعراً شعبياً ظريفاً ينتسب إلى عامة الناس، ولا يمت إلى علية القوم بأية صلة. وأني له ذلك، وهو أمي لا يكتب ولا يتهجى، وخباز كادح يكسب رزقه من خبز الأرز بمربد البصرة، وكان الناس يزدحمون على مخبزه للاستماع بشعره الظريف، ويتعجبون من حاله، وأمره. وتذكر المصادر أنه ما كشف قناع العُزبة قط، أي أنه لم يتزوج، وذلك لقصور همته على المذكر. فقد كان أحداث البصرة يتنافسون في إمالة الخبز أرزي إليهم، وذكره لهم، وحفظ شعره لقرب مأخذه، وسهولته.

وهكذا يتضح أن حياة الشاعر ليس فيها ما يشد الانتباه أو يلفت النظر، فهي حياة خاملة كحياة سائر الناس، سداها، ولحمتها الكدح من أجل لقمة العيش، باستثناء موهبة الشعر التي ميزت الخبز أرزي عن غيره من عامة الناس، وخلدّت اسمه في تاريخ الشعر العربي.

ومن نافلة القول الحديث عن علاقة الخبز أرزي بالعامة، فهي بلا شك – وثيقة، ولا تحتاج إلى البرهنة عليها، بوصفه واحداً من هؤلاء الناس الذين يكابدون، ويتقبلون في ضراء الحياة وبأسائها. ولم تذكر المصادر من علاقته بالشعراء سوى اتصاله بالشاعر العباسي المعروف الحسين بن لنكك أبن المدينة نفسها، التي ينتسب إليها الخبز أرزي، وهي البصرة. وكان ابن لنكك ينتاب دكان الخبز أرزي، ليسمع شعره. وحفظ لنا تاريخ بغداد، والمنتظم، ووفيات الأعيان حكاية لأبن لنكك مع الخبز أرزي، ملخصها أن أبا الحسين بن لنكك، وجماعة من أصحابه زاروا في بطالة عيد الخبز أرزي في مخبزه، فوجدوه يخبز على طَابِقه، فجلسوا، وقدموا له تهاني العيد، وأخذ الخبز أرزي يوقد السعف تحت الطاق، ويزيد في الوقود، فدخنهم، فنهضت الجماعة عندما كثر الدخان. فقال نصر ابن أحمد لابن لنكك، متى أراك يا أبا الحسين؟ فرد أبو الحسين: إذا اتسخت ثيابي. وكانت ثيابه يومئذ شديدة البياض فمشينا، فقال أبن لنكك يا أصحابنا أن نصراً لا يترك المجلس الذي كان لنا معه دون أن يقول فيه شعراً، وعلينا أن نبدأه، فجلس وطلب دواه، وكتب:

لنصر في فؤادي فرط حب	أنيف به على كل الصحاب
أتيــناه فبخــرنا بخــوراً	من السعف المدخن للثياب
فقمت مبادراً وظننت نصراً	أراد بذاك طردي أو ذهابي
فقال: متى أراك أبا حسين	فقلت له: إذا اتسخت ثيابي

وأرسل الأبيات إلى الخبز أرزي، فأجاب:-

منحت أبا الحسين صميم ودّي ... فداعــبني بألفاظ عذاب
أتــى، وثــيابه كـسقتير شيب ... فعدن له كريعان الشباب
ظننت جلوسه عــندي كعرس ... وجئت له بتمسيك الثياب
فقــلت: مــتى أراك أبا حسين ... فجاونبي: إذا اتسخت ثيابي

أما علاقته بالحكام، فلم أجد في المصادر إلا محاولة من طرف الشاعر للاقتراب من والي بلدة البصرة ابن يزداد، بإهداء فصّ له. ولعل ذلك يرجع إلى كون الخبز أرزي شاعراً كادحاً ليس لديه المسوّغات التي تمكنه من صنع علاقات مع الكبراء، ومنها الوجاهة، ورفاهية العيش.

وقد استطاع هذا الشاعر الفقير أن يبتكر طريقة لطيفة، وذكية، وطريفة، رغبة منه في كسر الحاجز بينه وبين والي البصرة من طريق تقديم هدية له عدَّها الشاعر امتحاناً لواليه، فقبولها هو قبول لمهديها، ورضى عنه، لعلها تعود على الشاعر – فيما بعد – بوافر العطاء.

يقول الخبز أرزي:

أهديتُ ما لو أن أضعافه ... مُطرحٌ عندك ما بانا
كمثل بلقيس التي لم يبنْ ... إهداؤها عند سليمانا
هــذا امتحانٌ إن ترضه ... بانَ لنا أنك ترضانا

مصادر شعر الخبز أرزي:

إن المصادر التي ضمت أشعاره الخبز أرزي، وأخباره، أصيلة، وموثوقة قام بتأليفها مؤلفون ثقات مشهورون في التراث العربي كُل وفق الموضوع الذي كتب فيه. وقد انفردت بعض هذه المصادر بإيراد أشعاره، وأخبار للشاعر لم ترد في سواها، وإن كان هذا لا ينفي أن بعض المصادر الأخرى نقلت عما سبقها حرفياً في بعض الأحيان وهذا أمر شائع في التراث العربي.

والمصادر التي تناولت أشعاره الخبز أرزي بعضها في الأدب، وبعضها في التاريخ، وبعضها في التراجم. ومثلما أنفرد الشاعر الخبز أرزي باسمه الطريف، الذي لا يمكن أن يختلط، أو يتشابه مع أي شاعر أُخر، تميزّت أشعاره – كذلك – بصحة نسبتها إليه، وعدم عزوها إلى أكثر من شاعر[1] كما هو الحال مع غيره من الشعراء الذين ضاعت دواوينهم وبخاصة أصحاب الأسماء المتشابهة.

وبذلك تكون أشعار الخبز أرزي التي تم جمعها صحيحة النسبة إليه، ولا يتطرق الشك في عزوها إلى غيره، بغض النظر عن اختلاف عدد الأبيات في القصيدة الواحدة باختلاف المصادر التي أوردتها. ويبدو أن لأسم الشاعر المتميز إسهاماً كبيراً في موضوع صحة نسبة الأشعار إليه، ليوفر ذلك على الباحث كثيراً من العنت في محاولة ترجيح نسبة الأبيات إلى الشاعر من خلال عملية يدخل فيها معجم الشاعر، وأسلوبه، وطرائق تعبيره عن الفكرة والإغراض الشعرية وغيرها.

---

[1] . وجدت في الفهرست أن شعر الخبز أرزي نُحل إلى الصُّولي
ينظر: محمد بن اسحاق النديم، الفهرست، تحق، مصطفى الشويحي، الدار التونسية، ومؤسسة الكتاب الجزائر 1985م، ص:740.

ومن أهم المصادر التي عُدتُ إليها، وجمعت منها أشعار الخبز أرزي، وأخباره:-

1. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، لأبي منصور عبد الله بن محمد بن إسماعيل ، الثعالبي النيسابوري (ت 429هـ)، حققه محمد محي الدين عبد الحميد، لاط، لات.
2. تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي (ت 462 هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، لاط، لات.
3. المنتظم في تاريخ الملوك، والأمم، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت597هـ)، ط:1، بمطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1357هـ.
4. وفيات الأعيان، لابن خلكان (ت 681هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1977م.
5. مرآة الجنان، وعبرة اليقظان، لأبي محمد عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني المكي (ت 768 هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط: 2، 1970.
6. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغزي بردي (ت 874 هـ)، طبعة مصورة عن مطبعة دار الكتب المصرية، لاط، لات.
7. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت 1089 هـ)، المكتب التجاري للطباعة، والنشر، والتوزيع، بيروت، لاط، ولات.

شعره الخبز أرزي:

ضاع ديوان الخبز أُرزي، كما ضاعت دواوين عدد من الشعراء العرب القدامى، ولم يقم أحد الباحثين – فيما أعرف – بجمع ديوان للخبز أرزي حديثاً، أما قديماً فجاء في اليتيمة ووفيات الأعيان والنجوم الزاهرة أن الشاعر أبا الحسين محمد بن محمد بن لنكك اعتنى بشعر الخبز أرزي، وجمع له ديواناً، ولكنه لم يصل إلينا، وهو ما دعاني إلى جمع ما تبقى من شعره، الذي يُعد قليلاً جداً، ولا يزيد عن ستة وثمانين بيتاً، وهذا العدد من الأبيات لا يكون ديواناً، ولكنه بداية لجمع ما يمكن جمعه من شعر الخبز أرزي في حيّز واحد بعد أن كان متفرقاً في عدة مصادر، وتبويبه وفق الحروف الهجائية، وذكر البحر الذي قيل فيه، والمصادر التي احتوت تلك الأشعار، واختلاف الروايات من مصدر إلى آخر. وأنا لا أدّعي إطلاعي على كل المصادر التي ضمت شعر الخبز أُرزي، ومن ثم لا أقول إن عملي هذا ليس به نقص بل هو بداية تحتاج إلى كثير من التطوير، والإضافة، والتنقيح.

أما رواة شعر الخبز أُرزي، فقد ذكر البغدادي بعضهم، ومنهم العافي بن زكريا الجريري، وأحمد بن منصور النوشري، وأبو الحسن بن الجندي، وأحمد بن محمد بن العباس الأخباري.

أغراضه الشعرية:-

جاء في اليتيمة والمرآة أن أشعار الخبز أُرزي مقصورة على الغزل[1] ، وما جمعته من أشعار شاهد بذلك. وقد غلب الغزل في المذكر على شعر الغزل عند الخبز أُرزي، ومن ذلك قوله:

---

[1] . اليتيمة، ج:2 / 366.

قد قلتُ إذ خان صبري من كلفتُ به ... ولم يكن عنه لي صبرٌ ولا جلدُ
إن كـــان شـــاركني في حـــبه وقحٌ ... فالنهر يشرب منه الكلب والأسد

وقوله في غزل المذكر :-

قالوا: عَشقتَ صغيراً، قلتُ أرتع في ... روض المحاسن حتى يدر الثمر
ربـــيع حسن دعاني لافـــتتاح هوى ... لمَّا تفـــتح منه الـــنور، والزَّهر

وقوله أيضاً

خـــليلي هل أبصرتما أو سمعتما ... بأكرم من مـــولى يمشي إلى العبد
أتى زائراً من غير وعد وقال لي ... أصـــونك عن تعـــليق قلبك بالوعد
فما زال نجم الوصل بيني، وبينه ... يدور بأفلاك الســـعادة، والســـعد
فطـــوراً على تقبيل نرجس ناظر ... وطوراً على تعضيض تفاحة الخدّ

وإلى جانب ذلك هناك أغراض شعرية أخرى قليلة، مثل الظرف، ومنها قطعته التي قالها ردّا على قطعة ابن لنكك التي يقول مطلعها:-

منحـــتُ أبا الـــحسين صميم ودّي ... فـــداعـــــبني بألـــــفاظ عـــــذاب

وقد وردت هذه الأبيات تعبيراً عن العلاقة الحميمة بين الخبز أُرزي، وأبن لنكك، وسبق إيراد أبيات الشاعرين، وقصتهما في أثناء الحديث عن حياة الخبز أُرزي، وليس هناك داعٍ لإعادة ما سبق ذكره.

ومن هذه الأغراض أيضاً شعر الحكمة الذي أبان أن الخبز أُرزي شاعر حكيم خبر الحياة، خبرة معيشة من خلال مخبزه الصغير، الذي جعله على صلة وثيقة بالناس، واحتكاك مستمر بهم، ومعرفة بأطوار هؤلاء الناس، وتصرفاتهم سلباً وإيجاباً.

وعبر الخبز أُرزي عن ذلك كله في قصيدة كاملة بلغ عدد أبياتها واحداً وعشرين بيتاً، خصصها للحديث عن موضوع واحد هو حفظ اللسان، وصيانة ماء الفم، وتقيد القول، وتمييزه قفلاً لأبواب الشر، وإطفاء لشرارات اللفظ. ومن هذه الأبيات الحكيمة قوله:

لسان الفتى خنق الفتى حين يجهل وكل أُمرئ ما بين فكيه مقتل

وقوله:

وكـــم فـــاتح أبواب شرّ لنـــفسه إذا لم يكن قفل علىّ فيه مقفل
كذا من رمى يوماً شرارات لفظه تلقـــته نيران الجوابات تشعل
ومن لـــم يـــقيد لفـــظه متـــجملاً سيطلق فيه كل ما ليس يجمل
ومن لم يكن في فـــيه ماء صيانة فمن وجهه عصن المهابة يذبل

ويختم القيدة بقوله:

أعلمكم مـــا علـــمتني تجـــاربي وقـــد قـــال قـــبلي قـــائل متمثّلَ
إذا قلت قـــولاً كنت رهن جوابه فحاذر جواب السوء إن كنت تعقل
إذا شئت أن تـــحيا سعيدا مسلماً فـــدّبر، ومـــيّز ما تقـــول وتفعـــل

والخبز أُرزي ليس بدعاً في تناول موضوع حفظ اللسان، وخزنه، وإغلاق الفم، ولجمه، فهو واحد من كوكبة كبيرة من الشعراء، الذين استهواهم هذا الموضوع، فطعموا به قصائدهم وعظاً، وإرشاداً وحكمة، ودعوة إلى الرزانة، والتعقل تارة، وخصصوا له قصائد كاملة طوراً آخر.

وكان لابد أن يصنع هذا الشعر من حيث أراد قائلوه، أو لم يريدوا ثقافة على مر الأيام هي ثقافة الصمت، أو السكوت من ذهب، أو الكلام هو مصدر كل الشرور والأثام، بدون التمييز بين متى يكون الصمت مباحاً، ومشروعاً؟ ومتى يكون الصمت مرفوضاً، ومداناً؟

وقد تم الخلط بين هذين الأمرين، بقصد استغلال ذلك لإسكات الناس، وتكميم إفواههم، حتى تذعن، وتسلس القيادة، ولا تكون مصدر إزعاج لمن لا يروق له إلا سماع صدى صوته.

وما جرى لقيمة حفظ اللسان من تشويه، واستغلال، أنسرب إلى قيم أخلاقية ودينية أخرى مثل الصبر، والحُلم، وغيرهما.

ملامح فن الخبز أُرزي الشعرية:

لا تتأتىَّ الدراسة الفنية لشعر شاعر ما إلا بعد الاطلاع على جُلِّ شعره، وإخضاعه لعلمية منهجية فنية يتم بواسطتها تتبع الوسائل المتنوعة، التي وظفها الشاعر للتعبير فنياً عن موضوعات شعره أي أنه لا يمكن رصد، ودراسة الفن الشعري من خلال أبيات قليلة لأي شاعر، فالدراسة الفنية تكون محدودة بمحدودية النصوص المدروسة، ولا تنجح في رسم عوالم الشاعر الفنية في التعبير عن موضوعاته الشعرية.

وهذا القول ينطبق على دراسة شعر الخبز أُرزي أو غيره من الشعراء الذين صاعت دواوينهم ولم يصل إلينا من شعرهم إلا القليل. ومن هنا تكون الدراسة الفنية ليست أكثر من ملامح لا تكتمل إلا بوجود الأشعار المفقودة، ولا تكون الأحكام الناجمة عن هذه الدراسة سوى أحكام مؤقتة، وأولية. يتسم شعر الخبز أُرزي بالسهولة واليسر، وقرب المعنى كما يقول الثعالبي في يتيمة الدهر "ويحفظون كلامه (أحداث البصرة) لقرب مأخذه وسهولته[1].." وقد ذكر الثعالبي قبل كلامه السابق، أنه كان ينوي عدم ذكر شعره (أي الخبز أُرزي)، وأخباره "أما لتقدم زمانه، أو سفسفة كلامه" وما يعنينا في هذه الفقرة هو قوله "سفسفة كلامه" وإذا عرفنا أن السفساف من الشعر في المعاجم هو الرديء، فإن الثعالبي يصم شعر الخبز أُرزي بالرداءة، وعدم الجودة. ويبدو أن الرداءة عند الثعالبي تعني أن الخبز أُرزي شاعر أميّ، وشعبي يستمد ثقافته سماعاً من الناس. ومثل هذه الثقافة تجعل صاحبها يكتب شعراً هو أقرب ما يكون إلى الكلام معنىً ومبنىً ويخالف الجوزي في المنتظم الثعالبي بقوله إن الخبز أُرزي كان "فصيحاً أديباً[2]." ويضيف أبن تغري بردي على قول الجوزي بأن للخبز أُرزي نظماً رائقاً صافياً[3]. ويزيد على ذلك الحنبلي في الشذرات واصفاً أشعار الخبز أُرزي بالفائقة[4]. وهو – عند النديم – رقيق الألفاظ، غير بصير بصناعة الشعر[5].

وأحسب أن حكم الثعالبي على شعر أُرزي بالسفسفة ليس له ما يؤيده، أو يسنده من الشعر الذي جمعته للشاعر إلا إذا كان الثعالبي قد أطلع على شعر للخبز أُرزي ينطبق عليه حكمه السابق، ولم يصل إلينا. أما أحكام الجوزي، وأبن

[1] اليتيمة، ج:366/2.
[2] . المنتظم، ج:276/3.
[3] . النجوم الزاهرة، ج:276/3.
[4] . شذرات الذهب، ج:276/2.
[5] . الفهرست، للنديم، ص:740

تعزي بردي، والحنبلي، فأرى أنها أقرب انطباقاً على أشعار الخبز أُرزي، يجد فيه تعبيراً فنياً عالياً، أو صورة مبتكرة وغير مكرورة، لأن هذا لا يتحقق إلا لقلة من الشعراء المبدعين ليس الخبز أُرزي واحداً منهم بوصفه شاعراً أمياً مشغولاً بالخبز والحياة، أكثر من اهتمامه بالشعر، وتجويده، والتفرغ له.

استخدم الشاعر بعض المحسنات البلاغية، مثل التشبيه، والاستعارة، والكناية، الجناس والطباق.

فمن التشبيهات – مثلاً – قول نصر الخبز أُرزي:-

أتى وثيابه كقتير شيب ... فعدن له كريعان الشباب
كمثل يعقوب بعد يوسف إذ ... حن إلى شّم بعض أثوابه
كمثل بلقيس التي لم يبن ... أهداؤها عند سليمانا
وجه كعباً دان ليس وراءه ... لمحبه شئ سوى الخشبات
لك وجه كأنه البدر في ... التم عليه تطرق من كسوف

من الاستعارات – مثلاً – قوله:-

دخلت باب الهوى ولي بصر ... وفي خروجي عميت عن بابه
وكم جهول تراه مشترياً ... سرور وقت بغّم أوقات
كم شهوات سلبن صاحبها ... ثوب الديانات والمروءات
قالوا: عشقت صغيراً، قلت أرتع في ... روض المحاسن حتى يدرك الثمر
ومن لم يقيد لفظه متجملاً ... سيطلق فيه كل ما ليس يجمل
شكرً لإحسان الزمان ... كما يساعدني عليه
فكأني بحسن وجهك قد صاحت ... به اللحية الرحّل الرحّيلا

ومن الكنايات – مثلاً– قول الخبز أُرزي:–

ورد الخدود، ورمّان النهود، وأغـــ صان القدود تصيد السّادة الصيدّا

فكـــان لـــم تكن قضـــيباً رطـــــيباً وكـــأن لـــم تكـــن كثيبـــاً مهيلا

من الطباق –مثلاً– قوله:–

دخلت باب الهوى – وفي خروجي (قطعة رقم (2))

سرور وقت بغم أوقات (قطعة رقم (3))

كم أُناس رَعَوا – وأناس جفوا (قطعة رقم (9))

حين غابوا – وهم حُضّار (قطعة رقم (9))

أنصفوا – ثم جاروا (قطعة رقم (9))

ومن الجناس –مثلاً– قوله:

عرضوا – أعرضوا (قطعة رقم (9))

استمالوا – مالوا (قطعة رقم (9))

الخُلق – خلقه (قطعة رقم (12))

وفي الجملة، فإن استخدم الخبز أُرزي للمحسنات، استخدم جيد، يدل على اسيتعاب لها وقدره على توظيفها في النص بحيث تسهم في تكوين الصورة الشعرية، والمعنى العام للقصيدة بعيداً – ما أمكن – عن المباشرة، والنثرية.

إن معجم الخبز أُرزي في حدود ما جمعتُ له من أشعار قليلة، معجم سهل المفردات، يسير التراكيب، بحيث لا يدفع هذا المهجم قارئ شعر الخبز أُرزي إلى استشارة المعجمات، بحثاً عن كلمة صعبة، لأنه لا يعا ظل في الكلام، ولا يفتش عن العويص، والمهجور، وغير المأنوس، حتى ليخل إلى من يقرأ

قطعة من شعره بمغزل عن أسمه، أنها – بلا شك – لشاعر من العصر الحديث في معناها، ومبناها. وسنورد ثلاث قطع للشاعر ليست فيها كلمة واحدة صعبة، أو بحاجة إلى شرح معناها. وفي تقترب كثيراً من النثر أو الكلام العادي باستثناء ما فيها من وزن، وقافية. وهذه سمة بارزة تكاد تطبع بميسمها جُلّ شعر الخبز أُرزي.

يقول نصر الخبز أُرزي:-

رأيت الهلال ووجه الحبيب فكـــانا هـــلالين عند النظر
فلـــم أدرِ من حيرتي فيهما هلال الدُجى من هلال البشر
ولـــولا التورد في الوجنتين ومارا عني من سواد الشّعر
لكـــنت أظن الهلال الحبيب وكـــنت أظنُّ الحبيب القمر

وكذلك قوله:-

وكان الصديق يزور الصديقَ لشرب المدام، وعزف القيان
فصار الصديق يزور الصديقَ لبث الهموم، وشكوى الزمان

وقوله:-

كـــم شهورة مستقرة فرحـــاً قد أنجلت عن حلول آفات
وكـــم جهول تراه مشتريـــــاً ســـرور وقـــت بغم أوقات
وكم شهوات سلبن صاحبـــها ثوب اندیانات والمروءات

وهكذا يتضح أن السهولة، واليسر، أو قُرب المأخذ كما يقول القدامى – عند الخبز أُرزي – راجع إلى أميته، ومتحه من أفواه الناس، وليس من بطون الكتب أو المنتديات الأدبية، وراجع –أيضاً– إلى شعبيته التي هي نقيض التركيب، والتعقيد، وصنو السلاسة، والسهولة.

ثانياً: ما تَبَقَّى من شعر الخبز أُرزي

قافية "الباء"

(1)

قال نصر بن أحمد الخبز أُرزي ردّاً على الشاعر الحسين بن لنكك:–

(من الوافر)

1. منحتُ أبا الحسين صميم ودّي فـــداعبني بألفاظ عـــذابِ
2. أتـــى وثيـــابه كالشيب بيضٌ فعـــدن له كريعان الشباب
3. وبغضـــي للمشيب أعدّ عندي سواداً لونه لون الخِضاب
4. ظننـــتُ جلوسه عندي لعرسٍ فـــجدتُ له بتمسيك الثياب
5. وقلـــت متى أراك أبا حسين؟ فجاوبني إذا اتسخت ثيابي
6. ولـــو كان التقزز فيه خـــيرٌ لما كُنِيَ الوصيُّ أبا تُراب

التخريج:

1. الأبيات: (1،2،3،4،5،6) في معجم الأدباء، ج:220/19.
2. الأبيات: (1،2،3،5،6) في يتيمة الدهر، ج:366/2 – 367.
3. الأبيات: (1،2،4،5،6) في تاريخ بغداد، ج:299/3.
4. الأبيات: (1،2،4،5،6) في المنتظم، ج:329/6– 330.
5. الأبيات: (1،2،4،5،6) في وفيات الأعيان، ج: 279/5.

اختلافات الرواية:

1. البيت (2) أخر كلمة في صدر هذا البيت، وردت في معجم الأدباء (بيض) أما في اليتيمة فجاءت (لوناً) ووردت (كقتير شيب) في تاريخ بغداد، والمنتظم، والوفيات.
2. البيت (3) لم يرد إلا في معجم الأدباء، ويتيمة الدهر.
3. البيت (4) آخر كلمة في صدر هذا البيت جاءت في معجم الأدباء (لعرس)، ووردت (كعرس) في تاريخ بغداد والمنتظم. أما أول كلمة في عجز البيت الرابع فهي (فجدت) في المعجم، والمنتظم، والوفيات. وجاءت في تاريخ بغداد (فجئت).
4. البيت (5) أول كلمة في صدر هذا البيت هي (وقلتُ) في معجم الأدباء. وجاءت في تاريخ بغداد والمنتظم والوفيات (فقلت).
5. البيت (6) ورد صدره (ولو كان التقزز فيه خير) في المعجم و(فإن كان التقزز فيه فخراً) في اليتيمة، و (فإن كان التعزز فيه فخر) في تاريخ بغداد، والمنتظم، و(فإن كان الترفّه فيه فخرٌ) في وفيات الأعيان. وجاء في عجز البيت السادس (لماكُني) في المعجم، أما في اليتيمة، وتاريخ بغداد والمنتظم، والوفيات فورد فيها (فلم يُكْن).

(2)

وقال:- (من المنسرح)

1. ما جفانـــي من كان لي أنسا ... أنســـت شوقاً ببعض أسبابه
2. كمثل يعقوب بعد يوسف إذ ... حَـــنَّ إلـــى شم بعض أثوابه
3. دخلت باب الهوى ولي بصر ... وفي خروجي عميتُ عن بابه

التخريج

الأبيات: (1،2،3) في تاريخ بغداد، ج:19/296-297.

قافية التّاء

(3)

وقال: (من المنسرح)

1. كما شهــوة مستقرة فرحاً قد انجلت عن حلول آفات
2. وكم جهــول تراه مشترياً ســرور وقت بغمّ أوقاتِ
3. كم شهوات سلبن صاحبها ثوب الديانات والمروءات

التخريج:

الأبيات:- (1،2،3) في تاريخ بغداد، ج: 13/396-397.

(4)

وقال (من الكامل)

1. لا تعشقن ابن الربيع، فإنه عــد التــجرد آية الآيات
2. وجه كعبّادان[1] ليس وراءه لمحة شئ سوى الخشبات

التخريج:-

البيتان: (1،2) في يتيمة الدهر، ج:3/368/369.

[1] . عبّادان: موضع ردئ سبخ لا خير فيه، ماؤه ملح. أما الحاق الألف والنون فهو لغة مستعملة في البصرة ونواحيها، إنهم إذا سموا موضعاً أو نسبوه إلى رجل أو صفة يزيدون في آخر ألفا ونونا. ينظر: معجم البلدان، ج: 4/47.

قافية الدال

(5)

وقال (من البسيط):-

1. قد قلتُ إذ خان صبري من كلفت به ولم يكن عنه لـــي صبرٌ ولا جلدٌ
2. إن كـــان شـــاركني في خُبِّـــه وُقِحُ فالنهر يشرب من الكلب والأسد

التخريج:-

البيتان:- (2،1) في يتيمة الدغر، ج:2/366-367.

(6)

وقال (من البسيط):-

1. ورد الخـــدود ورمّان النهود واعصـــ إن القدود تصيد السَّادة الصيدا
2. شَرطي إذا ما رأيت الخصر مختصراً والردَّف مرتدفاً، والقد مقدوداً

التخريج:-

البيتان (2،1) في يتيمة الدغر، ج: 2/369.

(7)

وقال: (من الطويل)

1. خليـــلي هل أبصرتما أو سمعتما بأكـــرم من مولي يمشِّي إلى عبد
2. أتى زائراً من غير وعد وقال لي أصـــونك عن تعليق قلبك بالوعد
3. فما زال نجم الوصل بيني، وبينه يـــدور بأفـــلاك السعادة، والسعد
4. فطـــوراً على تقبيل نرجس ناظر وطوراً على تعضيض تفاحة الخدِّ

التخريج:

1. الأبيات: (1،2،3،4) في يتيمة الدهر، ج:367/2.
2. الأبيات: (1،2،3،4) في وفيات الأعيان، ج:376/5، 377.
3. الأبيات (1،2،3) في مرآة الجنان، ج: 275/2.
4. الأبيات (1،2،3،4) في نجوم الزاهرة، ج: 276/3.
5. الأبيات (1،2،3) في شذرات الذهب، ج: 267/2.

اختلافات الرواية:-

1. في البيت (1) "بأكرم من" في يتيمة الدهر، ومرآة الجنان، ونجوم الزاهرة.
2. في البيت (1) "بأحسن من" في شذرات الذهب.
3. في البيت (1) تمشي في وفيات الأعيان
4. في البيت (1) تمشي في النجوم الزاهرة، وشذرات الذهب.
5. في البيت(1) يمشئ في اليتيمة، ومرآة الجنان.
6. في البيت (2) " أصونك عن" في اليتيمة.
7. في البيت (2) "أجلك عن" في مرآة الجنان، والنجوم الزاهرة، وشذرات الذهب.

قافية الرَّاء

(8)

قال: (من البسيط)

1. قالوا: عشقت صغيراً، قلتُ: أرتع في ... روض المحاسن حتى يدرك الثمر
2. ربـــيع حـــسن دعـــاني لافتتاح هوى ... لمـــا تفتـــح مـــنه النور، والزهرُ

التخريج:-

البيتان:- (1،2) في يتيمة الدهر، ج: 2/366-367.

(9)

وقال :- (من الخفيف)

1. شاقني الأهـلُ، ولم تشقني الديار والهوى صائر إلى حيث صاروا
2. جـيرة فـرقتهمُ غـربة الـبين وبـين القـلوب ذاك الجـوار
3. كم أُنـاس رعـوا لنا حين غابوا وأُنـاس جَفـَوا، وهم خُـضَّارُ
4. عرضوا ثم أعرضوا، وأستمالوا ثـم مـالوا، وأنصفوا، ثُمَّ جاروا
5. لا تلـمهم عـلى التـجني فلو لم يتـجنوا لـم يـحسن الاعـتذار

التخريج:-

1. الأبيات (1،2،3،4،5) في يتيمة الدهر، ج:2/369.
2. الأبيات (5) في معجم الأدباء للحموي، ج: 19/221.
3. الأبيات (3،4،5) في وفيات الأعيان، ج:5/377.
4. الأبيات (3،4،5) في النجوم الزاهرة، ج:3/376.

اختلافات الرواية:-

1. في البيت (3) "كم أُناس وفوا" بدل رَعَوا في وفيات الأعيان.
2. في البيت (4) "ثم مالوا، وجاروا" بدل ثم مالوا، وأنصفوا" في وفيات الأعيان.

(10)

وقال:- (من المتقارب)

1. رأيت الهلال ووجه الحبيب فـكانا هلاليـن عند النظر
2. فل،م أدرِ من حيرتي فيهما هلال الدجى من هلال البشر
3. ول،ولا التورد في الوجنتين وما راعني من سواد الشعر
4. لك،نتُ أظن الهلال الحبيب وكـنتُ أظن الحبيب القمر

التخريج:-

1. الأبيات: (1،2،3،4) في معجم الأدباء، ج:220/19 وفيه بداية عجز البيت الثاني هي (هلال السماء).
2. الأبيات: (1،2،3،4) في وفيات الأعيان، ج:378/5.
3. الأبيات: (1،2،3،4) في النجوم الزاهرة، ج:276/3.

قافية "الفاء"

(11)

وقال:- (من الخفيف)

1. بأبـي أنتَ من مـلول ألـوف رضـتني بالأمـان والتخـويف
2. حـار عقلي في حـكمة الجائر العدل وفي خلقك الجليل اللطيف
3. أنت بالمخصر والمؤزر تحكي قـوة الشـوق بالفـؤاد الضعيف
4. ليـس عن خـبرة وصفتك لكن حـركات دلـت على الموصوف
5. لك وجـه كأنه البـدر في التم عـليه تطـرّق من كـسوف

التخريج:-

الأبيات (1،2،3،4،5) في تاريخ بغداد، ج: 269/13.

قافية "القاف"

(12)

وقال:- (من مجزوء الرمل)

1. من يكن يهواه للخلق فإنـــي عـــبد خُـــلقه
2. إنَّ حسن الخلق أبهى للفتى من حُسن خلَقه

التخريج:-

البيتان (1،2) في يتيمة الدهر، ج:366/2.

قافية (الكاف)

(13)

وقال:- (من الطويل)

1. ألم يكفـــني ما نالني من هواكم إلـــى أن طفقتم بين لاه وضاحـــك
2. شماتتكم بي فوق ما قد أصابني وما بي دخول النار بي طنز[1] مالكِ

التخريج:-

1. البيتان (1،2) في يتيمة الدهر، ج:366/2-369.
2. البيتان (1،2) في وفيات الأعيان، ج:377/5.

[1]. الطنز: السخرية والاستهزاء.

قافية "اللاّم"

(14)

وقال:- (من الطويل)

1. لسان الفتي خنق الفتي حيث يجهل وكـــل امرئ ما بين فكيه مقتـــل
2. إذا مالســـانُ المرء أكثر هـــزره فـــذاك لســـان بالبلاء موكـــلّ
3. وكم فاتـــح أبواب شرٍّ لنفســـه إذا لم يـــكن فقل على فيه مقفـــلُ
4. كذا من رَمَى يوماً شرارات لفظه تـــلقته نيران الجوابات تشعـــل
5. ومَنْ لـــم يقيد لفظه متجمـــــلاً ســـيطلق فيه كل ما ليس يجمـــل
6. ومَنْ لـــم يكن في فيه ماء صيانة فـــمن وجهه غضن المهابة يذبـــل
7. فَلِم تحسبن الفضل في الحلم وحده بل الجهل في بعض الأحايين أفضل
8. ومن ينتصر ممن بغى، فهو مابغى وشـــر المـــسيئيـــن الذي هو أول
9. وقد أوجـــب الله القصاص لعدلـــه ولله حـــكم في العقـــوبات منـــزل
10. فإنْ كان قول قد أصاب مقاتلاً فـــإن جـــواب القـــول أدهى وأقتل
11. وقد قيل في حفظ اللسان وخزنه مســـائل من كـــل الفضـــائل أكمل
12. ومن لم تقربه سلامة غيبـــــه فـــقربانه في الوجـــه لا يتـــقبـــل
13. ومَنْ يتخذ سوء التخلف عادة فليـــس لدـــيه في عتـــاب معـــــوّل
14. ومن كثرت منه الوقيعة طالباً بـــها غرة فـــهو المـــهين الـــمذلّل
15. وعدل مكافأة المسيء بفعلـــه فـــماذا عـــلى من في القضية يعدل؟
16. ولا فضل في الحسنى إلى من يحسها بلى عند من يزكو لديه التفضل
17. ومن جعل التعريض محصول مزحه فذاك على المقت المصرّع يحصل
18. ومن أمن الآفات عجباً برأيه أحـــاطت به الآفـــات من حيث يجهل
19. أعلمكم ما علمتني تجاربي وقـــد قـــال قبـــلي قـــائل مـــتمثـــل

20. إذا قلت قولاً كنت رهن جوابه فحاذر جواب السوء إن كنت تعقل
21. إذا شئت أن تحيا سعيداً مسلماً فـدبّر، ومـيّز ما تقـول وتفعل

التخريج:-

1. الأبيات:- (1-21) في تاريخ بغداد، ج: 13/2970-298
2. الأبيات:- (2-21) في معجم الأدباء، ج: 19/220

(15)

وقال:- (من الخفيف)

1. كـم أقاسي لديك قالاً وقـيلا وعدات تتري ومـطلاً طويلا
2. جـمعةٌ تنقضي، وشهر يولّي وأمـانيك بـكرة، وأصـيلا
3. إن يفتني منك الجميل من الفعـل تعاطـيت عـنك صـبراً جميلا
4. والهـوى يستزيد حالاً فحالا وكـذا ينـسلي قـليلاً قليلا
5. ويك لا تأمنن صروف الليالي إنـها تـترك العـزيز ذليـلا
6. فكأني بحسن وجهك قد صـاحت به اللـحية الرحـيل الرحيـلا
7. فتـبدلت حـين بدلت بالنور ظـلاماً، وسـاء ذاك بديـلا
8. فـكأن لم تكن قضيباً رطيباً وكـأن لم تـكن كـثيباً مَهيلا
9. عنـها يشمت الذي لم تصلهُ ويـكون الـذي وصلت خليلا

التخريج:-

1. وفيات الأعيان، ج: 5/378.

(16)

وقال:- (من الخفيف)

1. تتجنىَّ عليَّ ذنباً وتعتلُّ بأن قد رأيت مني ذلَّة
2. لعن اللهُ قُربة ليس فيها لفتى يطلب التعلة علّة

التخريج:-

1. البيتان:- (2،1) في يتيمة الدهر، ج: 2/366-369

قافية (الميم)

(17)

وقال:- (من المنسرح)

1. وددتُ أنـــي بكـفّه قـــلم أو أننـــي مدةّ على قلمه
2. ويأخـــذني مـــرَّة ويلثمني إن عَلِقت منه شعرة بفمه

التخريج:-

البيتان:- (2،1) في يتيمة الدهر، ج:2/366-367.

قافية النون

(18)

وقال:- (من المنسرح).

1. أهدـيتُ ما لون أن أضعا مُطرحٌ عندك ما بانا
2. كـمثل بلقيس التي لم يبن إهداؤها عن سليمانا
3. هذا امتحان لك إن ترضه بَان لنا أنك ترضانا

التخريج:-

1. الأبيات:- (1،2،3) في وفيات الأعيان، ج: 380/5.
2. الأبيات:- (1،2،3) في مرآة الجنان، ج:275.

(19)

وقال:- (من المتقارب).

1. وكان الصديق يزور الصديق لشرب المدام، وعزف القيانِ
2. فصار الصديقُ يزور الصديقَ لبث الهموم، وشكوى الزمانِ

التخريج:-

1. البيتان:- في وفيات الأعيان، ج:377/5.
2. البيتان:- في النجوم الزاهرة، ج: 276/3.

قافية "الهاء"

(20)

وقال:- (من مجزوء الكامل).

1. بات الحـــبيب منادمي والسكر يصبغ وجنيتهِ
2. ثم أُغـــتدى، وقد ابتدا صـــبغ الخمار بمقلتيه
3. وهبت له عيني الكرى وتعـــوضت نظراً إليه
4. شكـــراً لإحسان الزمان كمـــــا يساعدني عليه

التخريج:-

1. الأبيات:- (1،2،3،4) في وفيات الأعيان، ج:378/5.
2. الأبيات: (1،2) في النجوم الزاهرة، ج: 276/3.

قافية "الياء"

(21)

وقال:- (من البسيط).

1. فـلا تـمُنَّ بـتنميـق تكـلفه لصـورة حسنها الأصلي يكفيها
2. إن الدنانير لا تُجلي وإن عتقت ولا تزاد على الحسن الذي فيها

التخريج:-

البيتان: في معجم الأدباء، ج: 221/19.